الهجوم على الكنيس في بروكسل ثمرة دعم الإرهاب في سورية

■ حميدي العبدالله

تعرّض كنيس يهودي في بروكسل لهجوم أدى إلى مقتل «إسرائيليين» اثنين. وربطت صحيفة «لوفيغارو» الفرنسية الهجوم على الكنيس بالأوضاع القائمة في سورية، ففي حين رجحت الصحيفة أنه عمل «معاد للسامية» استدركت قائلةً: «هناك قلق في صفوف السلطات الحكومية من عودة 200 بلجيكي يقاتلون في صفوف الجهاديين في سورية إلى البلاد، قلق عبر عنه وزراء داخلية الاتحاد الأوروبي قبل أسبوعين في بروكسل، ويوم الأربعاء الفائت حكمت المحكمة البلجيكية على 19 شخصاً بالسجن مدة تصل إلى 20 عاماً بسبب تشكيلهم خلية لنقل الجهاديين إلى سورية والصومال».

مما لا شك فيه أن هذا الهجوم على الكنيس اليهودي، الذي أثار قلق السلطات البلجيكية، لم يكن صاعقة في سماء صافية، فمثل هذه الهجمات اختفت لفترة طويلة، لكنها تنتعش اليوم ويقدر لها أن تتصاعد، إذ تعاونت الحكومات الغربية مع الجماعات الإرهابية الموصوفة، ورفعت عنها الحظر، وكفت عن مراقبتها وملاحقتها والتضييق على تحركاتها، بل أكثر من ذلك قدمت إليها الدعم والرعاية وسهلت وصولها إلى سورية، ووفرت لها الغطاء الأخلاقي والسياسي، حتى أن صحيفة «لوفيغارو» وهي تعالج الهجوم استخدمت تعبير «الجهاديين» في سورية ولم تستخدم تعبير الإرهابيين، علماً أن الدوائر الغربية اعتادت نعت هؤلاء الجهاديين المزعومين بالإرهابيين، قبل اندلاع الحوادث الإرهابية في سورية.

وسط ألوف المتطرفين الذين يكفرون الكثيرين من المسلمين، وتقديم الدعم المالي والعسكري إليهم، وتوفير الغطاء السياسي والأخلاقي ونعتهم، مثلما كان يحدث في أفغانستان حيث نشط هؤلاء في شن الهجمات على الجيش السوفياتي، بأنهم «أبطال الحرية» من البديهي في ظل هذا العدد الكبير من المتشدّدين أن تولد مجموعات تصدّق ما تُلقّن به عناصرها عن مبادئ الجهاد والعداء لليهود والغرب وتكفير أتباع أديان ومذاهب أخرى، بل حتى تكفير أتباع المذهب السني إذا لم يسيروا في ركب هذه الجماعات. وطبيعيّ أن تولد جماعات تشن هجمات ضد أهداف غربية، سواء كانت تلك الأهداف مصالح أو أتباع الأديان الأخرى، على غرار الهجوم الذي استهدف الكنيس في بروكسل.

لم تكن الاجتماعات الطارئة التي عقدها كبار المسؤولين في تسع دول أوروبية، والتحذيرات المتكررة من قادة أجهزة الاستخبارات الأميركية من خطر الجماعات الإرهابية الناشطة في سورية، وارتداد هذه المجموعات للعمل في البلدان التي جاءت منها، أمراً عادياً، فهو نتيجة حتمية للسياسات التي اعتمدتها الدول الغربية والقائمة على التحالف مع الجماعات الإرهابية، فمثلما أنتج التحالف الغربي مع الإرهابيين في أفغانستان ضد الاتحاد السوفيتي موجة الإرهاب الأولى التي بلغت ذروتها في هجمات 11 أيلول في الولايات المتحدة، فإن تحالف الغرب مع الإرهاب الذي تجاوز المعدلات التي سجلتها أفغانستان تبعاً لتقارير الاستخبارات الأميركية، سوف ينتج موجة ثانية من الإرهاب أقسى وأوسع من الموجة الأولى، وما جرى في بروكسل، وما كُشف عن تخطيط لسلسة من العمليات الإرهابية في دول أخرى، سواء في المنطقة، أو في العالم الغربي، ما هو إلاّ تطور لسياسة التحالف بين الغرب والإرهاب، واعتماد الغرب على الإرهاب في محاربة الدول المستقلة التي ترفض التبعية والدوران في فلك الحكومات الغربية.

اليمن... فاجعة العرب القادمة

■ فهد المهدي

اليمن هو البلد المنسيّ في الواجهة الإعلامية والسياسية الدولية منذ سنوات، فالحروب الأهلية الطاحنة التي دارت فيه لم تثر قلق المجتمع الدولي، خاصة أميركا. فما دامت الحرب منحصرة داخل اليمن والمتصارعون يمنيّون، حتى لو أودت هذه الحرب بآلاف اليمنيين وشردت مئات الآلاف منهم فهذا شأن داخلي ، فما الذي تغير حتى أصبح اليوم في قائمة الأجندات الأميركية المهمّة وأضحى مثار قلق إقليمياً ودولياً ؟

قد لا نحتاج إلى حصافة أو ذكاء لنكتشف هذا القلق الإقليمي والدولي، فغياب الوطنية لدى ساسة اليمن وارتباطهم الموازي بالمصلحة الذاتية وانقسام الجيش على نفسه، تبعاً للولاء الشخصي والأسري وليس الوطني قادت إلى تكوينات عسكرية وقبلية تخضع إما للقائد أو حتى لمن يدفع أكثر وحالة التشضي بين المجتمع اليمني الذي نلمس نتائجه اليوم في سائر الجبهات ،وتدهور الأوضاع الأمنية والمعيشية والصحية والطبية والتعليمية والاجتماعية والإنسانية وغيرها.

هذه الأمور وسواها أوجدت الاهتمام العالمي، مدفوعة بالخوف من أن يصبح اليمن «أفغانستان مقبلة «يطلق منها إرهابيون هجمات على الغرب، خاصة بعد التوسع لتنظيم القاعدة وانتشاره غير المسبوق في المحافظات اليمنية .

فبعد حادثة تدمير المدمرة الأميركية (كول) وحوادث الحادي عشر من أيلول والمحاولة الفاشلة لتفجير طائرة أميركية من قبل النيجيري عمر الفاروق عبد المطلب فوق مدينة ديترويت الذي درس في كلية أصولية في صنعاء، والتقى قادة تنظيم «القاعدة» في الجزيرة العربية في أبين وعدن أصبحت اليمن « جزءاً صعباً من العالم»، مثلما لخصها الرئيس الأميركي أوباما في منتصف تموز2010، لقناة NBC، وهي النتيجة التي يمكن قراءة مسبّباتها في ضوء تطوّرات المشهد الراهن في اليمن، خاصة ما يتعلق بتداعيات الحرب المفتوحة مع تنظيم «القاعدة» في اليمن، وازدادت خطورتها بالتدخل الأميركي المباشر تحت ذريعة الحرب الاستباقية على «الإرهاب» بقصف الطيران الحربي الأميركي اليومي منطلقاً من قواعد في الأراضي السعودية لضرب ما يسميهم عناصر تابعة لـ«القاعدة»، وذكر مكتب الصحافة الاستقصائية أن العمليات الأميركية في اليمن شهدت زيادة حادة عام 2012، إذ تضاعف عدد الغارات المؤكدة عن العام السابق ليصل إلى 32 غارة على الأقل، وبلغ الأمر تدفيعه ثمن هذه الضربات لمدنيين لا علاقة لهم بذلك.

بعد التغيير الشكلي في الحكم الذي يُعتبر جزءاً من ترتيبات أميركا لملف الحرب على الإرهاب في اليمن الذي تناولته استراتيجية الدفاع القومي التي أعلنها البنتاغون منتصف 2008، اتخذت أميركا شكلاً جديداً، فبعدما كانت معتمدة على الرئيس المخلوع في إدارة ملف مكافحة الإرهاب دون سواه وصل به الحدّ قبل خلعه من السلطة إلى تحذير الأميركيين في مقابلة لصحيفة «واشنطن بوست» ومجلة «تايم» من أن «خروجه من السلطة سيعني انتقال السلطة إلى جماعة القاعدة». الآن تعتمد أميركا على نظام كامل متواطئ معها بكامل مؤسساته، بمباركة ودعم دول خليجية، إذ تناقلت تقارير صحافية أن واشنطن تسعى بالتعاون مع الرياض ودول خليجية أخرى إلى فرض سيطرة أمنية وعسكرية على مناطق اليمن ومدنه، كونه يعزز من أمن الخليج ويواجه المدّ الإيراني في المنطقة، ويضيّق الخناق عليهم، وبذلك ازدادت الحشود العسكرية الأميركية في الآونة الأخيرة صوب اليمن كجزء من خطة عسكرية هدفها إقامة ثلاث قواعد عسكرية، الأولى في «قاعدة العند» العسكرية، الواقعة بين محافظتي عدن ولحج، والثانية في جزيرة سقطرى، والثالثة في جزيرة ميون، مهمتها الهيمنة على أحد أهم الممرات الدولية في مضيق باب المندب وخليج عدن.

في السياق نفسه، نجد أن الأميركيين يخافون خطر الفشل، إذ يساهم هذا التدخل في الشعور لدى بعض اليمنيين أنهم يتعرضون لهجوم وتجذبهم نحو الردّ على هذا التدخل، ففي مقال لصحيفة «واشنطن بوست» وصف بروس ريدل –المستشار السابق لإدارة أوباما– الاستراتيجية بأنها «تقص العشب... فحالما يتوقف القص ينمو العشب من جديد».

لذلك استبق الأميركيون هذا السيناريو للتخفيف من هذا الشعور من خلال توظيفها ذراعها الخفية المتمثلة بحركة «الإخوان» في اليمن التي كشفت النقاب عن وجهها القبيح فبعد نجاحهم في تقديم أنفسهم إلى الأميركيين بالصورة المعتدلة الليبرالية وعلى النحو الذي خلق معطى جديداً مكن الأميركيين من إقامة اتصالات مباشرة معهم، وبذلك تواطأوا مع الانتهاكات التي تقومُ بها الطائرات الأميركية على الأراضي اليَمَنية، بل وصل بهم الحدّ إلى تكريم السفير الأميركي الذي لعب دوراً في إيصالهم إلى السلطة ومكنهم من تقاسُم المواقع المهمّة في الحكومة ، نجدهم اليوم يؤدون الوظيفة التي كُلفوا بها من خلال إلهاء الشارع اليمني وإدخاله في صراعات داخلية مختلفة، وبذلك يبعدونه عن الاستعداد للفاجعة المقبلة والتي أكدها الأميركيون بأن «اليمن ستكون الميدان المقبل للحرب».

بذلك يكون «الإخوان» سلاحاً ذا حدين في يد الأميركيين فهم من ناحية سلاح ممهد للحرب الأميركية داخلياً، ومن ناحية أخرى سلاح مستقبليّ خارجيّ يهدد الدور السعودي ممثلاً بحكامه.

هذا الزحف الأميركي المتزايد إلى اليمن يدعونا إلى التساؤل عن مدى هذه الحرب المفتوحة التي قد تستمر في التطور لتصبح اليمن فاجعة جديدة للعرب؟ وهل ستكون اليمن أفغانستان وعراق جديدة ؟

في تقديرنا أن اليمن أصبح مهيّئاً لفاجعة جديدة للعرب، فتقويم واشنطن حالياً بأن الكبش اليمني بات جاهزاً، فبعد فشل سياساتها في المنطقة العربية بدءاً بالعراق وليبيا، وانتهاءً بسورية، لا بد لها من وجود أضحية للذبح لتغطية فشلها، إذ اكتفت أميركا من تسمين الكبش اليمني وحان الوقت لتقديمه أضحية، على ما صرّح السيناتور الأميركي المحافظ جو ليبرمان سابقاً عام 2009 قائلاً إن «العراق حرب الأمس، وأفغانستان حرب اليوم، أما اليمن فستكون حرب الغد».

المجتمعات المتخلّفة تعيش خارج الواقع

■ راسم عبيدات ـ القدس المحتلة

في المجتمعات المتخلّفة، تتعطّل لغة العقل والفكر، ومن يغرّد أو يجتهد أو يفكر خارج شيخ القبيلة أو العشيرة، فهو متمرّد وخارج على الإجماع العشائري، وقد تفرض عليه عقوبات تصل إلى حدّ الطرد، وهذه المجتمعات في ظلّ التخلف والجهل وتدنّي مستوى الوعي، وتغليب العاطفة والمشاعر على العقل والفكر، تسودها النميمة والحسد مرادفات السلوك اللا معياري كلها من كذب ودجل ونفاق وتملّق والواسطة والمحسوبية و«تسليك» المصالح والفهلوة على اعتبار أنها شطارة، والإشاعات والحديث في المواضيع والقضايا الفارغة والتافهة، على اعتبار أن هذه المجتمعات تعيش على هامش الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وحتى خارج البشرية العاقلة، فهي في سلوكها وتصرفاتها أقرب الى البوهيمية والحيوانية، تفكر فحسب في بطونها وفروجها، تحركها عاطفتها ومصلحتها الخاصة، وفي ظلّ سيادة ثقافة الدروشة والشعوذة والتكفير، وتغلل وتوسع التحريض والفتن الطائفية والمذهبية، تصبح الأجواء مهيّأة لكي تتحوّل أي مشكلة ذات بعد شخصي بين طرفين مختلفين دينياً أو مذهبياً، الى حرب داحس والغبراء.

لكم أن تتصوروا برلمان دولة يجتمع لمناقشة هل مسموح دخول الفنانات هيفاء وهبي أو إليسا أو نانسي الى أراضيها؟ فهؤلاء ينشرن «الفسق» و«المجون» و«الانحلال الأخلاقي»، على اعتبار أنهن «فاجرات» و«داعرات»، ونحن لا نعتبر أنهن كذلك، لكن لو كان/نت المجتمع او الدولة القادمات اليه/ها محصن/نة اجتماعياً أو اخلاقياً، أو لا تعاني مشاكل وأزمات اجتماعية وجنسية عميقة، لما وجدنا أنه لمجرد ذكر أسماء هؤلاء الفنانات تزحف الجماهير الى ساحات الاحتفالات أكثر من زحفها الى دور العبادة...، وكي لا نكون مثل النعامة الدافنة لرأسها في الرمال، وكل جسمها مكشوف، فهذه المجتمعات منحلة أصلاً وتمارس أنواع الدعارات سراً، والمثير للسخرية والتعجب، في حين يتحرك المشايخ ورجال الإفتاء المطاوعة والموجهة والمتمسحة بالدين وتسنفر جميع أجهزة الدولة وإعلامها للتحريض على هؤلاء الفنانات ومدى خطورتهن على المجتمع وأخلاق الشباب! نجد أن أولئك المشايخ ومؤسسات الإفتاء لا يتحرّكون لاغتصاب أوطان أو حتى تدنيس المقدسات ومحاولة تقسيمها أو هدمها، مثل المسجد الأقصى، أو حتى احتجاجاً على ما يتعرض له المسلمون على سبيل المثال في بورما من تطهير عرقي وقتل على الهوية، حيث قتل عشرات ألوف المسلمين، بينما يهبّون ويتقاطرون لما يُسمى بـ«الجهاد» في سورية، والفوز بالحور العين.

برلمان دولة أخرى يجتمع لمناقشة سفر المرأة للعلم على الطائرة أو رحلة مع محرم أو من دون محرم، كأنّ هاجس وشغل المرأة أو الفتاة المسافرة على الطائرة، هو فرجها فحسب وكيف تقضي شهوتها أو حاجتها الجنسية، وحتى لو كانت فاجرة أو داعرة، فهي لن تقدم على فعل فاضح في الطائرة.

تدار مناقشة وتعقد اجتماعات وتصدر فتاوى: هل من الشرع والدين أن يذكر اسم الفتاة او لا يذكر في بطاقة دعوة العرس، فهذه «قضية أمن قومي» من الدرجة الأولى! في حين يُستباح أمننا القومي ليل نهار ولا نحرك ساكناً، بل نتآمر على هذا الأمن. وخطورة هذه القضية وتداعياتها على المجتمع تحتاج الى اجتماعات متواصلة ولقاءات ماراتونية، شبيهة بمفاوضات السلطة الفلسطينية مع «إسرائيل» التي لم تثمر سوى عن مزيد من فرض الحقائق والوقائع وتوسع المشروع الصهيوني، والبعض فلسطينياً يريد أن يقنعنا بأهمية المفاوضات والنتائج و«الانتصارات» المتحققة من استمرارها، على قاعدة المأثور الشعبي «عنزة ولو طارت».

أليست هذه قمة الانغلاق والغلوّ في الجهل والتخلف؟ وتعبيراً عن عقليات بشر يعيشون خارج سياق البشرية العاقلة. إمرأة تشكل نصف المجتمع وتتحمّل قسماً كبيراً من أعباء الحياة، حتى في فرحها لا تستحق أن يذكر اسمها في بطاقة الدعوة، كأنّ ذكره يستفز رجولة «فحول» العرب، تلك الفحولة النائمة وغير الموجودة حين تتطلب المواقف أن يكون هناك رجال وفحولة، مثل قضايا اغتصاب أوطان، أو التعدي على أطفال ونساء عزل، أو تدنيس مقدسات، وهذا فيه تعبير عن مدى دونية تفكيرنا وأمراضنا المزمنة.

صوت المرأة وضحكتها جزء من «السيادة الوطنية» في حاجة إلى اجتماع مجلس وزراء، أو عشرات الفتاوى التي يصدرها شيوخ مأزومون، جزء كبير منهم مرضى ويحتاجون إلى «تجليس» عقولهم وفكرهم، ففتاواهم موجهة ومدفوعة الأجر وتقام خدمة لمصلحة ولا سند شرعياً فيها.

ألا تخجلون من أنفسكم في مثل هذا اللغو الفارغ، لو التفتت المجتمعات المتحضرة إلى لغوكم الفارغ هذا لما تقدمت سنتمتراً واحداً! لو التفتت دولة مثل اليابان التي تعرّضت للقصف بالأسلحة الذرية في الحرب العالمية الثانية إلى ما تشغلون به أنفسكم من تفكير عقيم وجدال بيزنطي وفتاوى لا تغني ولا تسمن من جوع، لما وصلت إلى ما وصلت إليه من تطور حضاري وعلمي وتكنولوجي. نحتاج إلى مئات السنين للوصول إليه، رغم أن اليابان لا تملك عشر ثرواتنا ولا مواردنا، بل تملك بشراً وعقولاً استثمرت فيها لكي تنهض وتتطور، وليس عقولاً مثل أكياس الخيش فارغة، محشوة بأفكار وتخاريف وتعاويذ بالية أكل عليها الدهر وشرب، عقول تعتقد بـ«حلب» التيس وبأنّ شرب بول الجمال والنوق فيه شفاء من الأمراض، فشتّان بين فكر يقوم على العلم والتحليل والإبداع وإطلاق الطاقات واستثمارها، وبين الذين يدعون فتاة تموت في جامعة بعدما تعرّضت لذبحة صدرية، وعدم السماح لطاقم الإسعاف بالدخول لإنقاذها لعدم وجود محرم! بالله عليكم... هل بمثل هذا الفكر وهذه العقلية، ستبنى مجتمعات وحضارات؟!

المجتمعات المتخلّفة تحجر على الفكر والعقل، وتعطل الاجتهاد، وتطلق العنان للتخاريف والتهابيل ودعاة «الحجبة» والذين يدّعون رؤية الرسول «صلعم» أو مشاهدته في نومهم وصلواتهم، وكذلك الذين يتصوّرون رؤية سيدتنا مريم العذراء على جدران الكنائس أو في الأديرة.

الشعوب المهزومة تنتج في لحظات الضعف، إلى مثل هذا السلوك وتلك الأفكار، ولكن أن تصبح نمط حياة وسلوكاً يومياً فتلك كارثة ليس ما بعدها كارثة، فمن ينقذنا من فكر الدروشة والمهرجين والمتخلفين؟

«الإخوان» ... من نهج التمسكن الى خطاب التمكّن

■ فؤاد عيتاني

يعتقد البعض أنّ «الإخوان المسلمين» لغزٌ يصعب فكّ طلاسمه أو تفسير آليات تحرّكه أو طريقة تعامله مع الوقائع، يختزل البعض المسألة بالقول إنه عقل غيبي يتبنّى النص ويبالغ في تجلياته وإيحاءاته، من دون أن يفسّر لنا لماذا يفكر هذا العقل بهذه الطريقة؟ وكيف يتشكل تصوّره؟ وكيف يرى العالم حوله؟ وكيف يدير معاركه مع خصومه؟ وما هي استراتيجياته؟ كيف كانوا يفكرون قبل السلطة؟ وكيف يفكرون الآن بعد الخروج منها؟ «الإخوان» ليسوا مجموعة من المخطوفين ذهنياً على حدّ ما تذهب إليه بعض الدعايات المنصرفة إلى شيطنتهم في الوعي الجمعي، أو مجموعة ممن غرقوا في إنكار الواقع ويحيلون على نصر سيأتي دونما أسباب، والعكس قد يكون صحيحاً لديهم بنية معرفية وذهنية قد نختلف معها تماماً لكنها تبقى قادرة على توفير التماسك للتنظيم وقادرة على تحريكه في ما تراه القيادات من معارك، بصرف النظر عن تعارض ذلك مع العقل أو المنطق. فنحن في الأحوال كلّها نتعامل مع العقل «الإخواني» الذي يبدو غير عقولنا جميعاً، وسنحاول أن نفهم لماذا هو عقل آخر.

منهج التفكير «الإخواني»

ينطلق «الإخوان» في نظرتهم إلى العالم حولهم من منطلق رئيسي، هو أنهم تنظيم حركي يستلهم المنهج النبوي في التغيير لاستعادة مجد الإسلام وسلطته في الحكم الدنيوي سبيلاً إلى الفوز في الدارين، ويعتقدون أنّ السبيل الرئيسي للوصول إلى تحقيق الأهداف هو ما حدّدته الآية من سورة الرعد «إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم» فتراجع المسلمين عن سيادة الدنيا هو نتيجة طبيعية لانحسار سلطان الدين عن النفوس واستعادة هذه السيادة هو في استعادة الشخصية المسلمة الأولى التي تقترب من جيل الصحابة في سماتها والتي فتح الله بهم الدنيا، ورغم أنهم يقولون عن أنفسهم أنهم فقهياً جماعة من المسلمين إلّا أنهم يستبطنون أنهم جماعة المسلمين التي هي صاحبة الحق الحصري في الدفاع عما يعتقدونه قيماً للدين وطريقاً لتمكينه في دنيا الناس وأنهم يملكون في ذلك الأساس المعياري الذي يقيسون به الجماعات الإسلامية الأخرى التي تعمل للغاية نفسها وهي تمكين الدين من الحكم.

في تعريف موقفنا من الدعوات، وموقفنا من الدعوات المختلفة التي طغت في هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار، أن نزنها بميزان دعوتنا فما وافقها فمرحباً به وما خالفها فنحن براء منه ونحن مؤمنون بأن دعوتنا عامة محيطة لا تغادر جزءاً صالحاً من أي دعوة إلّا ألمّت به وأشارت إليه.

ثم يفصل في تلك الدعوات التي يصفها بأنها فرّقت القلوب، مثل الوطنية والقومية في تدليل واضح على العداوة معهما، والتأكيد على أن لا مكان لتلك الدعوات في الدولة التي ينحاز إليها ويؤمن بها.

يتوافر يقين لدى العنصر «الإخواني» بأنه في تصوّره عن الإسلام على الحق المبين وغيره على الضلال المبين وبالتالي، هو لا يعتقد في تصوره عن الإسلام باعتباره صيغة تدين ضمن صيغ أخرى تقترب وتبتعد عن حقيقة الدين، فشتان بين الدين الذي هو مطلق كامل «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا «وبين التديّن الذي هو نسبي» وكل الذي نريده من الناس أن يكونوا أمامنا واحداً من أربعة: مؤمن، متردد، نفعي، متحامل. ثم يعرف المؤمن بأنه من يقبل تصورهم عن الدين ويعمل معهم. والمتردد ذلك الشخص الذي ينبغي أن يتردد عليهم وأن يسمع منهم فسيزول تردّده ويؤمن معهم في النهاية بتصورهم.

وإما نفعي وهو من يسأل عما سيجنيه أو يناله من متاع إن التحق بهم فيقولون له إنهم مغمورون مالاً وجاهاً وليس لديهم شيء من ذلك ليعطوه له. وإما متحامل فذلك لا يراهم إلاّ بعين التحامل. عند هذا الحد أصناف الناس الثلاثة في مواجهة تصورهم، بين متردّد ونفعي ومتحامل، لكن لا يوجد شخص آخر أو جماعة أخرى تملك من الحق مثلهم وتملك من الباطل أيضاً، فالحديث عن صيغة للتدين وليس الدين مثلما أسلفنا، لكنه يقدم نفسه باعتباره من يملك حقيقة الدين وعندما يستقيم ويستقر هذا التصور في نفوس

> النظام الديمقراطي يقتضي من الحركة الإسلامية أن تقبل بالفئة أو الحزب الذي ينتخبه الشعب وأن تبادر فتعترف بشرعيته طالما فاز بالأكثرية وأن تخضع لنظامه

«الإخوان» هل يمكن أن يزهدوا في ما لديهم لحساب تصور آخر يعتبرونه بعيداً عن التصور الصحيح الذي قدمه إليهم إمامهم؟

لم يبخل الشيخ حسن البنا بإعطائهم حصانة لهذا التصوّر ضدّ من يستشعر خطرهم في خلخلة أفكارهم، وقد يدفعهم إلى مراجعة تلك الأفكار أنه يبصرهم بأن الناس سيعادون هذا التصوّر بل وسيعاديه العلماء: «أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية وستجدون أمامكم كثيراً من المشقات وسيعترضكم كثير من العقبات وفي هذا الوقت وحده تكونوا قد سلكتم سبيل أصحاب الدعوات»، ثم يقول «سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة في طريقكم وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام».

إذن، الرجل يضع كوابح ذهنية لأعضاء الجماعة تجعلهم مهما واجهوا من معارضة أو استدراك أو مناقشة لأفكارهم أو وسائلهم لا يأبهون بها ولا يقفون ليفكروا في معتقداتهم، فقد أعلمهم الإمام بذلك قبلاً، وأن ما يواجهونه هو المآل الطبيعي لأصحاب الدعوات. أليسوا هم الامتداد الطبيعي للجماعة المسلمة الأولى يواجهون ما واجهته من «كيد الكفار والمشركين»! لذلك ستجد هذا التوحد مع حالة الجماعة المسلمة الأولى في الحالة النفسية التي ألمّت بهم وهم يعتصمون في رابعة كأنهم الجماعة الأولى المحاصرة في شعب أبي طالب يدعون على الكفار والمنافقين على لسان أحد مشايخهم قبل ثورة 30 يونيو، يوم دعا الشيخ محمد عبدالمقصود على من هم خارج «رابعة» من عموم الشعب المصري الذي تدين أغلبيته بالإسلام قائلاً: «اللهم اجعل يوم 30–6 يوم نصر للإسلام والمسلمين على الكفار والمنافقين».

لذلك يتوحّد العقل «الإخواني» مع هذه المقولات ويعتبر أنه على خير ما دام يبتلى ويستدعى من الآثار النبوية أو النصوص القرآنية ما يعزز لديه هذا الشعور بالمظلومية الممتدة عبر التاريخ.

ينعى «الإخوان» غياب الإسلام الطويل عن الحكم وبروز اتجاهات وأفكار وقيم بعيدة عن الدين مثل الديمقراطية التي قبلت بها بعض فروعهم مرحلياً من دون أن يترسخ ذلك الإيمان في نفوسهم. إن قبولهم بالديمقراطية رغم اعتقادهم أنها باطل لا تعني التعايش معه.

هل من حق الحركة الإسلامية أن توقّع على تحالف بأن يكون الحكم ديمقراطياً؟

وهل من حق الحركة الإسلامية أن توقع على تحالف بقيام حكومة موقتة ومؤتلفة؟

نحاول الإجابة عن السؤال الأول: قد يتبادر إلى الذهن مباشرة أن يكون الجواب بالإيجاب، لأن النظام الديمقراطي لا يحدّد فرداً أو جهة يخوّلها تسلّم السلطة، وهذا يعني أن الأمر لله يضعه حيث يشاء ثم يكمل أي الكاتب إنني أستبعد جواز ذلك ويقول – والذين يجيزون التحالف على القبول بالنظام الديمقراطي وسيلة للحكم ينطلقون من فكرة أن الإسلام لا يفرض نفسه بالقوة على الناس، وأن على الدعاة أن يعملوا لكسب قلوب الناس وثقتهم من خلال الدعوة، وبعدها تأتي مرحلة الدولة التي تقوم على حب الناس لهم وثقتهم بهم ليكونوا حكاماً لهم « ثم يفصل حيثيات رفضه بقوله:

أولا: النظام الديمقراطي يقتضي من الحركة الإسلامية أن تقبل بالفئة أو الحزب الذي ينتخبه الشعب وأن تبادر فتعترف بشرعيته طالما فاز بالأكثرية وأن تخضع لنظامه، وقد يكون هذا الحزب أو التجمع معادياً للإسلام أو لا يتبنى الإسلام في أفضل الإحتمالات – بالطبع فهم وحدهم يتبنّون الإسلام ويعرفون أحكامه الحقيقية، أما غيرهم فلا يشاركونهم هذا الفهم ومن ثم ليسوا أمناء على حكم البلاد. نستطيع من خلال هذا الكلام اكتشاف نوايا «الإخوان» حيال الاستمرار في الحكم إلى الأبد – ثم يستطرد قائلاً ولنفرض جدلاً أننا قبلنا بالنظام الديمقراطي فإن الشعب هو مصدر التشريع في هذا النظام وقبولنا بذلك يعني قبولنا بكل تشريع لا يرضاه الإسلام واعتباره شرعياً في الوقت نفسه طالما أنه صادر عن هيئة تشريعية منتخبة.

ثانياً: لنفترض جدلاً أن الحركة الإسلامية اشترطت قبول نظام الإسلام حتى تقبل النظام الديمقراطي فهي في هذه الحالة قبلت بالمتناقضات في البنود نفسها تجعل حجة لخصوم الإسلام عليها في المستقبل أن هذا الحكم وهو نظام الإسلام لا يمثل رأي الشعب وبالتالي لا يجوز أن يفرض عليها.

يكشف لنا النص السابق كيف هو إيمان «الإخوان» بالديمقراطية وكيف أن المسألة لا تعدو شكلاً من أشكال التقية السياسية المرحلية ودرباً من الانتقال بين خطاب التمسكن وخطاب التمكّن بحسب الأحوال، لذلك لم يكن غريباً أن «الإخوان» يتحدثون كثيراً عن الشراكة الوطنية في مصر مثلا بينما هم منخرطون في مغالبة لا تعرف الرحمة.

نتيجة هذا الفقه الحركي الذي يجعلهم معتقدين دوما أنهم أصحاب المنهج الأصيل وأقدر الناس على تجسيده في الواقع من سواهم.

قيادة الجماعة وسرّية التنظيم

تعتبر السرّية من أهم أساليب العمل داخل الجماعة، ورغم أنها حكمت مصر لعام وأشهرت العديد من المواقع الجغرافية والإلكترونية المعبرة عنها، إلاّ أنها حرصت دوماً على أن يكون تنظيمها سرياً، ورغم أنها تحدثت في أدبياتها عن التزامها بالمنهج النبوي في التغيير الذي حدده كتاب المنهج الحركي بين

> تعتبر السرّية من أهم أساليب العمل داخل الجماعة ورغم أنها حكمت مصر لعام وأشهرت العديد من المواقع الجغرافية والإلكترونية المعبرة عنها إلاّ أنها حرصت دوماً على أن يكون تنظيمها سرياً

المرحلة الأولى (سرية الدعوة وسرية التنظيم) إلى (جهرية الدعوة وسرية التنظيم) ثم مرحلة قيام الدولة فتأسيس الدولة وتثبيت دعائمها، وأخيراً ما سماه الجهاد السياسي وانتصار الرسالة ومواصفات كل مرحلة ومقتضياتها.

يفصل تلك المراحل ثم لا يجد حرجاً في أن يعطي قيادة «الجماعة» الحق الحصري ألا تتقيد بموجبات كل مرحلة، بحسب ما ترى، حتى أنه لا يحدد سقفاً للعمل السري، بل يترك ذلك للقيادة قائلاً: «ننتهي بهذا إلى أن السمة الأولى لهذه المرحلة امتدادها الزمني ثلاث سنوات، وإن كنا في واقع الأمر لا نبني شيئاً على هذه المدة ولا نفهم أن الحركة الإسلامية اليوم لا بد أن تمر في مرحلة سرية هي ثلاث سنوات، فهذا أمر لا نص فيه يدعونا إلى الاقتداء به ولا نحجر واسعاً، إنما نفهم أن انتهاء هذه المرحلة قد كان، لأنه صارت للمسلمين قاعدة صلبة مستعصية على الإفناء إذا قيست بنوعياتها من جهة ونسبتها إلى المجتمع المكي آنذاك من جهة ثانية، ومن هذا الجانب تكون القدوة. ثم يقول فقيادة الحركة المسلمة الراشدة هي المسؤولة عن تقدير هذه المرحلة وإمكاناتها للانتقال إلى مرحلة لاحقة. ويحدد مناط القدوة بالطريقة التي تصادف تصوّره، ثم يترك للقيادة أن تقرر مدة السرية ومداها بحسب ما ترى. وحافظت جماعة «الإخوان» على السرية طوال تاريخها حتى اليوم ولم تتخلّ عن ذلك حتى وهي في الحكم فلم تتقيّد لا بثلاث سنوات ولا حتى بثلاثة عقود.

رؤية «الإخوان» للمواطنة ونظرتهم إلى الأقباط

في إطار التقيّة السياسية التي أدمنها «الإخوان»، من المهمّ أن نسلط الضوء على نص كاشف يؤكد كيف ينظرون إلى الأقباط ولماذا لم يزر محمد مرسي كاتدرائية الأقباط ولو لمرة واحدة حتى في أعيادهم؟

الرجل إبن الحالة القطبية، التي ترى أن التقيد بالمنهج الحركي الذي أكدته السيرة النبوية، هو في الإعراض عن المشركين «لا يجوز أن تتميع الدعوة وتضيع معالمها بحجة مسايرة المشركين ومراعاة ظروفهم وتأليف قلوبهم، كما يلجأ كثير من الناس اليوم وهم يتعايشون مع النصارى»، ثم يقول إنّ جميع الدول في عصرنا الحاضر التي توجد فيها الأقليات الدينية تنهج هذه السياسة في إذاعاتها المرئية والمسموعة والمقروءة،ويسمون هذا دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة إن الإعراض عن المشركين يعنى فكرتين في وقت واحد :

الفكرة الأولى: المسيرة بالدعوة من الداعية وإيضاح معالمها، غير عابئ بغضب خصومها أو مشاعرهم أو آرائهم.

الفكرة الثانية: عدم مواجهة أذاهم المادي والمعنوي وعدم الرد على تجريح الداعية.

إذا كان الناس في الوطن إمّا مسلمون جاهلون بدينهم لا يعرفون حقيقته ولا يقفون على أحكامه ولا ينفّذون مقتضياته، فعليهم أن يكون صنفاً من أصناف أربعة حدّدها الشيخ البنا، وإمّا مشركون لا يجوز مسايرتهم أو مراعاة ظروفهم أو تأليف قلوبهم. ماذا يعني ذلك في مواجهة النص القرآني الذي يقول: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين».

ماذا يعني البرّ والقسط في اللغة العربية سوى أعلى درجات الصلة وأرفعها، وكيف نقرأ قول الله تبارك وتعالى في موضع آخر من كتابه العزيز «ولتجدن أقربهم مودّة للذين آمنوا، الذين قالوا إنا نصارى، ذلك أن منهم قسيسين ورهبانا، وأنهم لا يستكبرون».

لذلك سقط وجه الجماعة الزائف، كما رأينا في منصة رابعة العدوية التي تعتبر حال تحليل خطابها، كتاباً مفتوحاً لما تضمره الجماعة تجاه المجتمع، وكيف أنها تراه أدنى منها في كلّ شيء في الاعتقاد والتصور والسلوك، فإيمان الناس لدى الإخوان ليس إيماناً واحداً، بل إيمانان كما وصف البنا، إيمان حي يدفع صاحبه إلى العمل، هو إيمانهم وإيمان خامل هو إيمان الناس، هذا إذا كانوا مؤمنين «والفرق بيننا وبين قومنا بعد اتفاقنا بهذا المبدأ يقصد الإسلام – أنه عندهم إيمان مخدر نائم في نفوسهم لا يريدون أن ينزلوا على حكمه وأن يعملوا بمقتضاه، على حين أنه إيمان ملتهب مشتعل قوى يقظ في نفوس الإخوان المسلمين».